عادة البدر يجلى ليلة الخمس ... فمن يدق النحاس دفاً عليها

وفي كنايات الثعالبي ص٢٨ من طبع مطبعة السعادة اشارة الى ذلك ايضاً. ومثل ذلك في كتاب « حاضر المصريين او سر تأخرهم في حاشية ص٢١٨. ولو استقرينا كلما جاء في هذا المعنى لقام بين يدينا كتاب قائم براسه . وكفى بما ذكرناه شاهداً على ما اردناه .

النجف — عراق

الكوفية او الكفية وانواعها واستعمالها

Le Koufyeh, ses variétés et son usage.

من الكلام عن ان العرقجين (العرقية) يوضع تحت الفينة (الطربوش) او تحت الكفية (الكوفية) وقد ذكرنا كلاماً من العرقية والطربوش في عاينا الكلام عن الكوفية فنقول :

اهل العراق لا يعرفون الكوفية الا بالكفية بدون واو اي بضم الكاف وتشديد الفاء المكسورة والياء المشددة المفتوحة وهاء في الآخر . وهي لفظة منسوبة الى الكفة لا الى الكوفة . والكفة عندهم كل ما استطال ويقولون ايضاً كف الثوب كفاً : اذا تركه بلا هدب . وكلا هذين المعنيين فصيح معروف . ومعلوم ان اهل البادية يلفظون الكاف جيماً مثلثة فارسية فيقولون فيها الجفية .

واللفظة الفصيحة المشهورة هي الكوفية بواو . قال صاحب التاج : والكوفية : ما يلبس على الرأس سميت لاستدارتها » ولم يزد على هذا القدر. وقد ذهب آخرون الى ان الكوفية مشتقة من الكوفة . ونسبت اليها لان سكان هذه المدينة كانوا يلبسونها منذ الازمان القديمة فنسبت الى بلدتهم . ولعل الاصح انها رومية الاصل (اي لاتينية مولدة أو bas- latin) لان الاروام هم اول من ادخلها ديار الشام ومنها انتشرت في سائر ربوع العرب . وهي بلسانهم : Cuphia او Cofea وقد اشتقوها من كوفة او كفة Cupa او Cuppa اي القدح او الصحفة او القصعة وكل منها لا يكون الا مستديراً وقد وردت هذه الكلمة بهذا المعنى على قلم فرنتانس الاسقف المتوفى سنة ٦٠٠ للمسيح اي المتوفى باثنتين وعشرين سنة قبل ظهور الاسلام .

وصاحب التاج بإيصفها الشهرتها بين العرب . ودونك وصفها : كسفة مربعة اوتكاد ، تطوى على نفسها فيخالف بين زواياها معطوفة احداها على الاخرى كما يفعل في الوشاح وتلبس فوق الرأس بان تلقى عليه فيجعل طرفها السائب على الظهر ويقع طرفاها الآخران على الصفحتين اليمنى واليسرى يفعلون ذلك ليتقوا الشمس او طوارئ الجو وتثبت بواسطة رباطتين كالحبل يعرف عندهم بالعقال . وقد تكون الكوفية من خام او حرير او قز او من نحوها وهي اذا طويت على نفسها يحصل من شكلها مثلث . واذا كانت من الخام الابيض سماها اهل بادية العراق « بالحلالية » وبالقزية « او الجزية » محرف « القزية » ان كانت من ابريسم والنجديون يعرفون الكوفية باسم « المحرمة » اذا كانت غير بيضاء والا فهي « الغترة » (بكسر الاول)

وحضر بو بغداد ولاسيما نصاراها يريدون بالكوفية المشوش اى المنديل الذى يتمسح به او يمخط فيه . وذلك لان الاعراب يمشون باحد طرفيها . ولان اهل المدن استعملوا تلك الكوفية نفسها للمشي لا لستر الرأس اذ يستعملون بدلها العمامة . فبقي اسم الشيء عليه وان تحول استعماله لامر آخر لان التسمية هنا واقعة على المادة لا على سواها . كما ان اهل الشام يريدون بالمحرمة ما يريده البغداديون بالكوفية لسبب المذكور .

واما اهل تونس وما يجاورها فيريدون بالكوفية ضرباً من الكلوتة او العرقية تكون مطرزة . وتجمع الكوفية على كوافي (بتشديد الياء) والعراقيون يقولون كفافي ويقال فيهما كوفيات وكفيات ايضاً وكلاهما مقبول مأنوس .

وقد ذكرت لفظة كوفية في كتاب الف ليلة وليلة في عدة مواطن . وكانت النساء يومئذ يلبسنها . من ذلك قول المؤلف : خلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفية حرير . وقوله : كوفية بالف دينار . وقوله : على رأسها كوفية دق المطرقة (١) مكللة بالفصوص الثمينة . وقوله : فوق رأسها كوفية مطرزة بالذهب مرصعة بالجواهر .

---

(١) لم يفهم بعضهم ولاسيما الافرنج معنى دق المطرقة . فالمعنى ان فيها قطعا من الفضة والذهب قد دقها الصائغ بمطرقته كما يقول اليوم العراقيون « فولة دق الصائغ » . وقد ظن دوزى ان معنى دق المطرقة هو الاستبرق او المزركش من الثياب

ومن ذكر الكوفية النويري في تاريخ مصر وكان السلاطين المماليك يتخذونها وقد وردت في جميع كتب السواح الافرنج الذين جابوا ديار العرب والعراق وبعض ربوع الشام منذ ثلاثة قرون فادون لكنها لم ترد بهذا اللفظ في كتب العرب الاقدمين . والظاهر انهم كانوا يستغنون عن هذا الاسم بآخر كالعمامة والعمار والمميرة والعصابة ونحوها لان الكوفية من لوازم المميرة .

واما الحلالية فانها مضافة الى الحلال . كان لونها الابيض ومادتها المتخذة منها وهي القطن تحل لان تكون عمرة لجميع الناس بخلاف ما لو كانت من حرير اولونها اخضر او ازرق فانها لا تحل الا لبعض طبقات الناس .

واما الغترة بكسر وسكون فان اصلها الغثر آه على ما نظن . والغثر آء ما كثر زئيره من الاكسية والقطائف ونحوها . ولما كانت الكوفية تتخذ عندهم من الانسجة الكثيرة الزئير سميت باسمها .

وقد تختلف الوان الكوافي باختلاف لون الثوب الاصلي . ولهذا لا ينظر الى اللون وهي تكون في الغالب حمراء او زرقاء او رمداء . او ان تكون رقعة الثوب بيضاء وما عليها من النقوش زرقاء او حمراء . ويكون في اطرافها اهداب طويلة يعقدها البعض عقداً مختلفة الشكل او يجعلونها حبكاً على اوضاع غريبة والاكابر يتخذون الكوفيات من الابريسم او الحرير الذي يدخله القصب او الكلبدون(١) تدلى اطرافها من جانبي الرأس لتقي على القم ايام البرد القارس او العواصف

المعروفة عندنا باسم « برنجك زرى » وقد ساقه الى هذا الوهم ما جاء في كتاب تاريخ مصر للنويري في قوله : خمسمائة صندوق من دق دمياط وتنيس برسم كسوة جنده قال : « والحال ان هاتين المدينتين مشهورتان بهذا الاستبرق فالمراد اذاً بدق المطرقة هذا الثوب » قلنا : نعم ان الدق شيء ودق المطرقة شيء آخر . ولهذا وجب التنبيه . ثم ان الدق في عبارة النويري هو الاستبرق الرقيم النسج لكنه ليس بالثاني — وقال في كتابه : ملحق بالمعاجم العربية ما معناه — « دق المطرقة والدق شيء واحد » لكني لا اعلم معناه — اه . اي انه لا يعلم كيف ساغ ان يطلق على دق المطرقة اسم الدق قلنا والحال ان الواحد ليس بالآخر . وسمي الاستبرق بالدق لرقة نسجه كما سمي الشف شفاً لانه يشف ما وراءه .

(١) الكلبدون لفظة عراقية فارسية الاصل من « قلابودان » وهي خيوط من ذهب يطرز بها . يسميها مولدو العرب بالقصب

الكثيرة الغبار التي تكثر في العراق لتمنع البرد او دخول الغبار الفم .. ولهذا سماها العراقيون الكفية من الكف وهو المنع او من الكفة بضم كما قلنا في اول هذا المقال .

ومن الغريب ان لفظة الكوفية تكاد تكون في جميع اللغات بلفظ واحد وبمعنى مقارب للمعنى العربي فقد ذكرنا اسمها عند الروم . واما الايطاليون فيعرفونها باسم Cuffia وهي بالاسبانية Cofia وبالفرنسوية Coiffe وبالبرتوغالية Coifa قال دوزي المستشرق الشهير : اظن ان الشرقيين اخذوا هذه الكلمة من الايطاليين لانه كان لهم في القرون المتوسطة تجارة كبيرة في موانئ مصر والشام وكانوا ينقلون الصليبيين من ديارهم الى ربوع الشرق والظاهر ان الكلمة التركية « اسقوفية » مأخوذة من الاصل الافرنجي المذكور لان الرحالة كوتوفيك يقول في كلامه عن البنات اليهوديات في الشرق ما معناه : « ويضعن على رؤوسهن اسقوفية من فضة او من نحاس مذهب بمنزلة حلية . وتتخذها ايضاً الصغيرات سناً منهن بعد ان يكن قد عقصن شعورهن بمهارة ولياقة . »

والبيّن ان قدماء العرب كانوا يتخذون العمامة فوق الكوفية ولاسيما اهل المدن منهم . وكانوا يسمونها باسم واحد وهو العمامة كما ألمعنا اليه فويق هذا. وقد اشار الى بعض ذلك الاديب الانكليزي والمستشرق الكبير « لين Lane » في تعليقاته على كتاب الف ليلة وليلة ، قال : يلبس اهل المدن الكوفية وفوقها العمامة واظن انه مصيب في قوله هذا. لان الرجل المذكور من العلماء الذين يشار اليهم بالبنان ومن المتبحرين في اللغة العربية وآدابها ومعرفة الناطقين بها واحوالهم وامور معاشهم. فاذا عرفنا ذلك هان علينا فهم كثير من عوائدهم التي لا تتضح الا بعد الوقوف على هذا النوع من العبرة .

وكثيراً ما كانوا يتلثمون فضلة الكوفية لكي لا يظهروا انفسهم لاعدائهم فيخفون وجوههم كلها او بعضها حسبما يمن لهم او يشاؤون . ولهم اوضاع واصطلاحات فوذلك منها : (الاعتجار) قال صاحب تهذيب الالفاظ: كانت الفرسان في الجاهلية عند اجتماع الناس يعتجرون في وقت الحج يعتجرون (اي يلفون عمائمهم دون

التلحى) لئلا يعرف من قد اصاب من الدماء . فاتى (طريف بن تميم العنبرى) سوق عكاظ فرأى قوماً ينظرون بوجهه وكان من مقدمى الفرسان فحسر اللثام وقال ابياتاً منها هذه :

او كلما وردت عكاظ قبيلة ... بعثوا الى صريفهم يتوسم
فتعرفونى انى انا ذاكم ... شاك سلاحى فى الحوادث معلم
تحتى الاغر وفوق جلدى نثرة ... زغف ترد السيف وهو مثلم
حولى اسيد والهجيم ومازن ... واذا حللت فحول بيتى خضم
ولكل بكرى لدى عداوة ... وابو ربيعة شانئ ومحلم

ومن ذلك : (اللثام) قال اللغويون هو رد الرجل عمامته على انفه . ومنه (التلفم) قال ابو زيد : تلفمت تلفماً اذا اخذت عمامة فجعلتها على فيك شبه النقاب ولم تبلغ بها ارنبة الانف ولا مارنه . قال : وبنو تميم تقول فى هذا المعنى تلثمت تلثماً . قال : فاذا انتهى الى الانف فغشيه او بعضه فهو (النقاب) ومنه (التلحى) قالوا تلحى الرجل : طوق العمامة تحت الحنك . ومنه الحديث : نهى عن الاقتماط وامر بالتلحى . (والاقتماط) ان يتعمم الرجل ولا يدير تحت الحنك . ومنه ايضاً (الزوقلة) قال ابن سيدة : زوقل عمامته اذا ارخى طرفيها من ناحيتى راسه . وقال ابن دريد : فاذا لاثها على راسه ولم يسدلها على ظهره ولم يردها تحت حنكه فهى (القفدة) .

واوضاعهم فى هذا المعنى كثيرة اجتزأنا بما ذكرنا من باب التمثيل لا غير . وبهذا القدر كفاية للقنوع .

ادوات السفينة

Armement et Appareillage des vaisseaux en Mésopotamie.

١ً : (الاثية) [١] مصحفة عن تصغير اتمة وزان اكمة . هى حلقة بين القنة والكلاب مربوط بها حبل قصير بهيئة حلقة اخرى .

[١] بكسر الهمزة وفتح التاء واسكان الياء وفتح الميم وفى الاخر هاء .